التاريخ الإسلامي ....
والمذهب المادي في التفسير

محمد فتحي عثمان

التاريخ الإسلامي ....

والمذهب المادي في التفسير

أضواء على تجربة

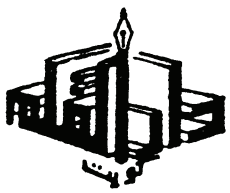

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
(١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار القلم ـ الكويت ـ شارع السور ـ عمارة السور
ص.ب ٢٠١٤٦ ـ هاتف ٤٢٥١٦٠ ـ برقيا توزيعكو

الإهداء

إلى الذي علّمني كيف أقوّم (الحق) ...

وأميّز (الحقيقة)

إلى أستاذي الجليل محب الدين الخطيب

بارك الله في عمره ونفع بعلمه

تقديم

في الخمسينات ... أخرج الدكتور طه حسين كتابه « الفتنة الكبرى : عثمان » ... فجاء استهلالاً للنظر الى وقائع التاريخ الاسلامي من زاوية « المادية التاريخية » أو « التفسير المادي للتاريخ » .

ولكن هذا الاستهلال سار الى وجهته متأنياً متمهلاً على استحياء . يمهد فيه الأستاذ الدكتور لما يرى من الفروض والاستنتاجات بما يحسبه واجباً من تحرّج وتحوّط، فأنت لا تخطىء، في صدرها عبارات مثل « وأكاد أعتقد.. » و « يوشك أن ... » الى غير ذلك مما يتميز به أسلوب الكاتب ، وما يجعله « وجهة نظر » تقطع ولا تلزم .

ومن ذلك ما يقوله المؤلف مثلاً عن رسالة الاسلام :

« ... وكان أغيظ ما غاظ قريشاً من النبي ودعوته أنه كان يدعو الى هذا العدل والى هذه المساواة ، لم يكن يفرّق بين السيد والمسود ، ولا بين الحر والعبد ، ولا بين القوي والضعيف ولا بين الغني والفقير ، وانما كان يدعو أن يكون الناس جميعاً سواء كأسنان المشط لا يمتاز بعضهم عن بعض.. وقد سخطت قريش أشد السخط وأعنفه على النبي لما أظهر من ذلك ، حق لأكاد أعتقد أنه لو قد دعاها الى التوحيد دون أن يعرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ، ودون أن يسوي بين الحر والعبد وبين الغني والفقير وبين

القوي والضعيف ، ودون أن يلغي ما ألغى من الربا ، ودون أن يأخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء – أقول لو قد دعاهم النبي الى التوحيد وحده دون أن يمسّ نظامهم الاجتماعي والاقتصادي لأجابتـه كثرتهم في غير مشقـة ولا جهد ، فما كانت قريش مؤمنة بأوثانها إيماناً خالصاً، ولا كانت قريش حريصة على آلهتها حرصاً صادقاً ، وما كانت قريش إلا شاكة ساخرة تتخذ الأوثان **وسيلة لا غاية – وسيلة الى استهواء العرب واستغلالها** أو لإجابة من قريش من أجاب وامتنع عليه منها من امتنع دون أن يلقى مشقة أو عنتـاً إلا أن يكون حرص قريش على آلهتها نتيجة **حرصها على مكانتهـــا من العرب وانتفاعها بما كان يجلب اليها من الثمرات!** ومهما يكن من شيء فقد سخطت قريش على النبي لأنه عرض لنظامها الاجتماعي ، وفرض عليها نوعاً من العدل لا يلائم منافعها وكبراءها ، أكثر مما سخطت عليه لأنه عاب آلهتها ودعاها الى أن تلغي الواسطة بينها وبين الله (١) .

ولا مراء في أن رسالة الاسلام جاءت تحرر الانسان وتضع عنه الاصر والاغلال « ... يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم » .

روى الطبري في ابتداء أمر القادسية من أخبار سنة ١٤ هـ أن ربعي بن عامر دخل على رستم قائد الفرس في مجلسه ، فسأله : ما جاء بكم ؟ فقال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنخرج من شاء

« **من عبادة العباد ... الى عبادة الله**

« **ومن ضيق الدنيا ... الى سعتها**

---

(١) ص ١٠ - ١١ .

« ومن جور الأديان ... الى عدل الاسلام

« فأرسلنا بدينه الى خلقه ، لندعوهم اليه ... » !!!

ولا مراء في أن القرآن نعى كثيراً على المترفين وتوعدهم بالعقاب الأليم « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهـــا القول فدمرناها تدميراً » « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . في سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على الحنث العظيم ... » « ... أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيـــا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون بغير الحق وبما كنتم تفسقون » ...

ولا مراء في أن الاسلام لا يضار حين يقال أن رسالته جاءت انتصاراً للمستضعفين من الجبابرة ... وأنها لقيت التأييد في جزيرة العرب ثم في البلاد الخاضعة لامبراطوريتي الفرس والروم لأنها هتفت بالحرية والعدل ... فان الله يرسل رسله وينزل كتابه لخير الناس ، وليقوموا بالقسط ، أما هو جل جلاله فهو غني عن عباده العابدين وطاعة الطائعين ، وهو يختار لها وقتها المناسب ومكانها الملائم لتؤدي هدفها الجليل ، و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » !

ولكن لما كانت الغاية لا تبرر الوسيلة ، ولما كان العقل الانساني يتردى في عثرات ومزالق من جناية التعميم والاطلاق ... فان الايمان بالتفسير ينبغي ألا يسلط العقل على الوقائع حتى يصهرها ويشكلها في خدمة التفسير !!

وقائع التاريخ الاسلامي – كأية وقائع أخرى وأي تاريخ... لا تضار من أن تفسر بشتى مذاهب التفسير ، فكل يتضافر على كشف جانب من الحقيقة حسب وجهة نظره ، ولو بكشف جانب من البطلان عند اعتساف التفسير ... ولكن حرصاً على المنهجية العلميـــة ، **يجب أن يظل التفسير تفسيراً ، ينطلق من وقائع ثابتة صحيحة** ... لكن لا يخلق التفسير الوقائع

أو ينحلها أو يزيفها ، ولا ينسى التفسير مهمته الأصيلة .. أنه « تفسير » !

* * *

وفي الستينات مضى الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي شوطاً أبعد في وجهته « التفسير المادي » للتاريخ الاسلامي ، واختار « سيرة رسول الاسلام » مجالاً لبحثه ، فقدم كتابه « **محمد رسول الحرية** » ، وأعاد نشر كتابه سنة ١٩٦٥ في طبعة شعبية ضمن سلسلة « كتاب الهلال » .. وقدم كتابه الى القراء ، معلنا أننا « لسنا في حاجة الى كتاب جديد عن الدين يقرأه المسلمون وحدهم ، ولكننا في حاجة الى مئات من الكتب عن (التطور) الذي يمثله الاسلام ، كتب يقرأها المسلمون وغير المسلمين ... « ولقد أثار الكتاب وقت ظهوره في طبعته الأولى ضجة وأثير حوله كلام لا أعتقد أنه ينبغي أن يثار . فالكتاب في جملته لا يعتبر بحال خطراً على عقيدة من عقائد الاسلام أو مفهوم من مفاهيمه .. لكن الكتاب إذا قوّم بمعايير « المنهجية العلمية » لكان فيه كلام !

وفي يناير ١٩٦٥ ظهرت مجلة « **الكاتب** » تستهل بحثاً متصلاً استغرق عدة أعداد من المجلة عن « **الصراع بين اليمين واليسار في الاسلام** » جاء في حلقته الأولى :

« فاذا كان القرآن الكريم قد حرم الأعمال المصرفية وهي الضربة القاصمة لرأسماليي مكة ، كما وضع قواعد للتجارة لا تعرف الاحتكار أو التحكم في أسعار السلعة ، وجعل لولي الأمر أن يتدخل في البيع والشراء فيحدد السعر ويعاقب المخالف فكل ذلك هو ما كانت تأباه قريش ، وهو الذي جمع سراة قريش ووحدهم لقتال الإسلام والقضاء عليه ، وهو نفسه الذي حدد من اللحظات الأولى موقف الكتل السياسية المختلفة منه وموقف الطبقات الاجتماعية المؤيدة والمعارضة له ... »

وهكذا تحولت الفروض والاستنتاجات التي كانت تطل في تحرج واستحياء من قلم الدكتور طه حسين ... الى مقررات قاطعة حاسمة فيما ظهر من كتابات تاليـــة !

* * *

ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي نقدمها للقارىء في هذا الكتاب الذي سبق نشر بعض فصوله في صحافة القاهرة خلال عـــام ١٩٦٥ ... محاولة لالقاء الأضواء على تجربة « المادية التاريخيه » مع التاريخ الإسلامي !

ان « المذهب » ينبغي ألا يطغى على « المنهج » ... وان الدراسات الانسانية قد ضاقت بـ « التفسير الواحدي » وأصبحت تزخر بنظرات جديدة خصبة تنتهي الى مفاهيم الوحدة الكلية والصراع الدينـامي للقوى والاحالة المتبادلة والعلية الشبكية ... « الظاهراتية » في الفلسفة ، « الجشلطتية » في التربية ، « التكاملية » في علم النفس ... الخ .

لقد أخذت « الدينامية » مكانها في تفسير أحداث الكون المادي والمجتمع الانساني سواء بسواء !! وأخذ « الديالكتيك » مكانه في قوانين الفكر مبرزاً هذا التشابك والتعانق بين الأسباب والمسببات والمقدمات والنتائج بـل بين المتقابلات والمتناقضات ولقد كتب انجلز نفسه « ان كلا من التطور القـانوني والسياسي والفلسفي والأدبي يستند الى التطور الاقتصادي ، ولكن تلـك التطورات تؤثر بعضها في بعض كما تؤثر في الدعـامة الاقتصادية » فالموقف الاقتصادي ليس هو العلة الوحيدة الفعالة بحيث يكون كل ما عداه مجرد نتاج سلبي ، فهناك داخل مجال الحتمية الاقتصادية احالة متبادلة تتوكد دائمـاً في نهاية الأمر . ولقد كان ماركس في شبابه أقرب الى ادراك جملة العلاقـات الجدلية المعقدة ما بين مختلف طبقات أعماق الحقيقة الاجتماعية، وهي طبقات متداخلة ومحتدة في نفس الوقت حيناً تتكامل ضمن قوى الانتـاج وحيناً

تتعارض معها ... لقد كان ماركس الشاب أقرب الى ادراك النزعة الانسانية الخلاقة Humanisme activitè وتكثرية جوانب الحقيقة الاجتماعية Pluralisme activité » !! [1]

ولا بد لادراك « الحقيقة العلمية »... من «منهجية» العلم و«أخلاقياته»...

وعلينا ونحن نستهل طريق نهضتنا ، أن نأخذ انفسنا بهذه وتلك ، في صدق وحزم .

وعلى الله قصد السبيل ،

فتحي عثمان

---

(١) جورج جيرفيتش : علم الاجتماع عند ماركس الشاب ترجمة دكتور صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ص و ز (مقدمة المترجمين) ص ٨١ : ١٣ .

حتى لا يطغى "المذهب" ... على "المنهج"

كلمات ... عن "المادية التاريخية"

● أخذت الماركسية «**الديالكتيك**» أو الجدل الهيجلي (تطور الفكر من قضية phesis الى نقيضها anti-phesis الى قضية تركيبية من النقيضين لكنها مخالفة لهما synphesis) **ونقلته من مجال الفكر الى مجال المادة** ، وجعلت المادة هي الأساس « فحركة الفكر هي في نظر هيجل خالقة الواقع وصانعته ، وما الواقع إلا الشكل المتجسم للفكرة ، أما في نظري فعلى العكس تماماً ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية منقولة الى ذهن الانسان » كما يقول ماركس . وهو في هذا التحديد يتبع فيورباخ الذي سبق أن أعلن أن : « التفكير يفرز كما يفرز الكبد الصفراء » !

● « **المادية الديالكتيكية** » أو الجدلية تقرر أن الطبيعة ليست تراكماً عرضياً للأشياء أو حوادث منفصلة عن بعضها البعض ، بل الطبيعة كل واحد متماسك ترتبط فيه الحوادث والأشياء ارتباطاً متبادلاً عضوياً ... وليست الطبيعة في حالة سكون وركود ، بل **حالة حركة وتغير وتجدد** ، ففيها دائماً شيء يولد ويتطور ، وشيء ينحل ويضمحل ، لهذا يتحتم أن تنظر الى الحوادث من حيث حركتها وتغيرها وتطورها وظهورها واختفائها . **وتراكم التغيرات الكمية يؤدي الى تغيرات كيفية** ، وهذه تكون سريعة فجائية ، وهي حتمية نتيجة لما سبقها من تراكم التغيرات الكمية . والتطور ليس حركة دائرية أو تكراراً بسيطاً للطريق ذاته ، بل هو حركة صاعدة وانتقال ، من الحالة الكيفية القديمة الى حالة كيفية جديدة ، وتطور ينتقل من البسيط الى المركب . ونقطة الابتداء في الديالكتيك « أن الطبيعة والحوادث تحوي

متناقضات داخلية لأن لها جميعاً جانباً سلبياً وجانباً ايجابيا، ماضياًوحاضراً، فيهـــا جميعاً عناصر تضمحل وعناصر تتطور . **وتباين هذه المتناقضات أو الصراع بين القديم والجديد ، بين ما يموت وما يولد ، بين ما يفنى ومـــا يتطور ، هو المحتوى الداخلي لحركة التطور ولتحول التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية .**

وصياغة المادية الديالكتيكية **جاءت بطريقة استنباطية** ... وعلى هذا « يتحتم على من يدرسها أن يفهم مبادئها مسبقة ، ثم يباشر تطبيقها العلمي » كما يقول أتباعها أنفسهم [1] .

وتكون « المادية الجدلية » الأساس الفلسفي للماركسية . واذا كان الماركسيون يرون أن الماركسية كمذهب شامل قد تحتـــاج من وقت لآخر الى تعديل وتطوير ، فانهم يرون أن نظريتها الفلسفية ليس مما يحتاج الى تعديـــل « فالمادية الجدلية تتكون من مفاهيم عـــامة جداً هي حصيلة الفكر البشري خلال عشرات القرون من التجارب الاجتماعية وخلال تقدم العلم والحضارة ، وموضوع الدين لا يحتل من المادية الجدلية سوى جزء محدد وثانوي ، لأن أساس هذه الفلسفة هو منهجها الفكري وتصوراتها لقوانين الحركة والوجود في الطبقة والمجتمع . ولهذا قال لينين في كتابه عن المادية والمذهب النقدي التجريبي : (ان ماركس وانجلس كانا يركزان في أعمالهما في المادية الجدليـــة على جانب الجدلية أكثر مما يركزان على المادية ، وكانا يركزان في المـــادية التاريخية على جانب التاريخية أكثر مما يركزان على المادية). والفلسفة الجدلية تشتمل على عدد من المبادىء العامة التي تتسم بهـــا ظواهر الطبيعة والمجتمع

---

(١) وسيم خالد : نشأة الاشتراكية – مجلة الكاتب ع ٥٠ – مايو ١٩٦٥ يراجع ما جاء في الموسوعات عن الاصطلاح وتطور استعماله : مثلا الانسكلوبيديا البريطانية ، معجم لالاند الفلسفي – وراجع الترجمة العربية في كتاب د : صلاح مخيمر ، عبده ميخائيل رزق « في الاشتراكية العربية » ص ١٣٩ : ١٥٧ .

والفكر ، هي أساساً : **مبدأ الحركة الشاملة والتغير الشامل ، ومبدأ ترابط الاحداث وتشابكها وتفاعلها ، ومبدأ اجتماع الأضداد وصراعها ، ومبدأ انتقال التغير الكمي الى التغير الكيفي** . ويمكن أن تلاحظ مثلاً أن مبدأ اجتماع الأضداد هو الذي يشرع لنا فلسفياً اجتماع الطابع الموجي والجسمي للالكترون ، وامكانية تحديد عدم التحدد في ظواهره ، واجتماع الضرورة والاحتمال ، وما الى ذلك أما مبدأ التغير الكمي والكيفي فهو الذي يفسر تمايز المستويات النوعية للوجود في الطبيعة والمجتمع وبالتالي تمايز قوانينها النوعية ومفهوم الحتمية في كل منها »[1]

● يقول كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨ : ١٨٨٣ م) « في الانتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس ، نراهم يقيمون علاقات محددة لا غنى عنها وهي مستقلة عن إرادتهم ، **وعلاقات الانتاج هنا تطابق مرحلة محددة من تطور قواهم المادية في الانتاج ، والمجموع الكلي لهذه العلاقات يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع، وهو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية والتي تطابقها أشكال محددة من الشعور الاجتماعي** . فأسلوب الانتاج يعين الصفة العامّة للعمليات الاجتماعية السياسية والروحية في الحياة . **ان شعور الناس ليس هو الذي يعين وجودهم بل ان وجودهم هو الذي يعين شعورهم** . وعند بلوغ مرحلة معينة من تطور قوى الانتاج المادية في المجتمع نراها تصطدم مع علاقات الانتاج القائمة أو علاقات الملكية بالتعبير القانوني ، وبهذا تتحول هذه العلاقات الى أغلال لتطور قوى الانتاج ، وهنا تبدأ فترة ثورة اجتماعية » . ويقول فريدريك انجلز F. Engles (١٨٥٠ : ١٨٩٥ م)

« ان النظرية المادية تبدأ من هذا المبدأ : وهو أن الانتاج وما يصحبه من تبادل المنتجات هو أساس كل نظام اجتماعي . وفي كل مجتمع ظهر في التاريخ نجد ان توزيع المنتجات وما يلازمه من تقسيم المجتمع الى طبقات يعينه

---

(١) اسماعيل المهدوي : الحتمية والعلم الحديث . الفكر المعاصر ع ٤ يونيو ١٩٦٥ .

الانتاج وطريقته وكيفية تبادله . فحسب هـذه النظرية نرى ان الاسباب النهائية لكافة التغييرات الاجتماعية والثورات السياسية يجب البحث عنها لا في عقول الناس أو بحثهم عن الحق والعدل الأزليين ، وانما في التغييرات التي تطرأ على أسلوب الانتاج والتبادل واذن فعلينا الا نبحث عن هذه الأسباب في الفلسفة وانما في اقتصاديات العصر الذي نعينه ... والذي نفهمه عن الأحوال الاقتصادية التي نعدها الأساس الذي يعين تاريخ المجتمع هي الوسائل التي ينتجها افراد المجتمع البشري وسائل عيشهم ويتبادلون بواسطتها المنتجات فيما بينهم ، وهذا يشمل إذن فن الانتاج والنقل ... ونحن نعتبر الأحوال الاقتصادية العامل الذي يعين في النهاية التطور التاريخي ، ولكن هناك نقطتين يجب عدم اغفال شأنها : **أولهما ان التطور السياسي والقضائي والفلسفي والديني والأدبي يرتكز على التطور الاقتصادي ، ولكن هذه جميعاً يؤثر الواحد منها في الآخر وكذلك تؤثر في الأساس الاقتصادي ، وإذن ليس المركز الاقتصادي هو السبب الوحيد الايجابي الفعال بينما ما عداه ذو اثر سلبي ولكن هناك تفاعلاً مشتركاً على أساس الضرورة الاقتصادية .**

وثانية النقطتين : ان الناس يصوغون تاريخهم لا بناء على إرادة اجماعية أو حسب خطة اجماعية أو حتى في مجتمع محدود معلوم ولكن جهودهم تتصادم ، ولهذا السبب وحده نجد أن هذه المجتمعات جميعها **تحكمها الضرورة التي تكملها الصدفة أو تبدو بمظهر الصدفة ولكن هذه الضرورة هي في النهاية ضرورة اقتصادية .** » وقد قال انجلز أيضاً : ان الموقف الاقتصادي هو الأساس ولكن **العناصر المختلفة التي يتكون منها البناء العلوي لها أثرها في الصراع التاريخي وأحياناً تكون له الغلبة** في تحديد شكل الصراع ، وهو يقصد بعناصر (البناء العلوي) المظاهر السياسية لصراع الطبقات ونتائجه ، والدساتير التي تقيمها الطبقة المنتصرة وأشكال القانون والنظريات الفلسفية

التي هي انعكاس هذا الصراع في أذهان المتنازعين والأداء والمعتقدات الدينية . (١)

فـ « المادية التاريخية » تقر إذن أن أسلوب انتاج الحاجات المادية كالغذاء والمساكن وأدوات الانتاج هي القوة الأساسية التي تحدد شكل المجتمع وتقرر تطور المجتمع من نظام الى آخر . ويقصد بأسلوب الانتاج جماع القوى المنتجة ، وهي : أدوات الانتاج – من يشتغلون عليها بخبراتهم وعاداتهم – العلاقات الانتاجية : أي علاقة الناس فيما بينهم أثناء سير الانتاج.

وهكذا ترى المادية التاريخية أن أحداث التاريخ ظواهر موضوعية تقبل الدراسة العلمية، وترى أنها تتحرك وفق قوانين معينة يمكن اكتشافها وليست أحداثاً عشوائية منفصلة كما أن حركتها ليست نتاجاً فلسفياً للرغبات والأهواء الذاتية . واذ تعرضت المادية للاتهام بالجبرية والغاء الارادة الانسانية فانها قد دفعت الاتهام بأنها لا تنكر ما تتضمنه الظاهرة التاريخية في داخلها من تفاعل وتشابك بين عوامل لا حصر لها ذات تأثيرات متبادلة فانها تقول ان الحتمية في التاريخ تقوم على أساس مبادىء الاحتمال وعدم التحدد ، وتستأنس لذلك ببعض الظواهر في مجال العلوم الطبيعية ، « فالتنبؤ اوالحساب التقديري في مجال التاريخ يصبح من نفس النوع الذي يتيح لعالم الطبيعة أن يتنبأ بدقة بنسبة ذرات الثليوم التي تتحول اشعاعياً الى رصاص والفترة التي تستغرقها هذه العملية مع أنه لا يستطيع ازاء كل ذرة على حدة أن يقرر بشكل محدد ما إذا كانت ستتحول الى رصاص خلال عدة أسابيع أو خلال عدة آلاف من السنين **فالتنبؤ التاريخي او الاجتماعي هو تنبؤ احتمالي وغير محدد ولكنه علمي وموضوعي ومحسوب** ، وظواهر المجتمع والتاريخ شبيهة بالظواهر النووية الذرية ذات التداخل الموجي ، وتلعب المصادفات

---

(١) د . راشد البراوي ، د : نظمي عبد الحميد : النظام الاشتراكي ص ١٠٣ وما بعدها – راجع ايضاً د . راشد البراوي التفسير الاشتراكي للتاريخ .

والاحتمالات دوراً كبيراً في التاريخ . ويرد انجلز على خصوم الحتمية التاريخية قائلاً : (ان كل ما ينقص هؤلاء السادة هو الجدل ، فهم لا يرون دائماً إلا العلة في مقابل المعلول ، أما أن يسير المجرى العريض للأشياء على صورة فعل ورد فعل بين قوى شديدة التفاوت فهذا ما لا تراه عيونهم) ، ويقول : (هناك تعامل بين كل هذه العوامل – السياسية والدستورية والقانونية والفكرية – . وفي نهاية الأمر تفرض الحركة الاقتصادية نفسها بشكل ضروري وسط حشد لا نهاية له من المصادفات التي هي أشياء وأحداث تسلسل ارتباطها الداخلي تسلسلاً بعيداً أو مستحيل الاثبات بحيث يمكن تجاهله أو اعتباره كأن لم يكن) . وهكذا تتسع الحتمية التاريخية **لدور الفرد وارادته الذاتية** التي هي أحد العوامل المتفاعلة التي لا حصر لها التي ترتكز عليها الحتمية التاريخية كما ترتكز على مبدأ الاحتمال وعدم التحدد ، لكن هذا الدور وهذه الارادة **لا يمكن أن تتخطى حدود هذه الشبكة ولا يمكن أن تكسر القوانين الموضوعية لحركة التاريخ** . فالارادة يمكن أن تكون في بعض الظروف عاملاً هاماً (مرجحاً) – على حد تعبير انجلز – بقدر ما تستطيع أن تحتل المكان الملائم داخل هذه الشبكة . وبهذا المعنى نفهم **كلمة هيجل القائلة (الحرية هي الوعي بالضرورة)** ، فالفرد يستطيع أن يمارس إرادته في تغيير المجتمع بقدر استفادته من القوانين الضرورية لحركة الظواهر الاجتماعية تماماً كما يستطيع أن يتخطى قانون الجاذبية مثلاً باستخدام قانون الجاذبية نفسه [1] » .

● ومن خصائص الانتاج أنه لا يقف أبداً مدة طويلة عند نقطة معينة فهو دائماً في تغير ونمو ، **ويؤدي تغير أسلوب الانتاج حتماً الى تغير النظام الاجتماعي** بأسره ، ويستخدم الناس في مختلف درجات التطور أدوات انتاج مختلفة أي انهم يختطون أشكالاً متباينة من الحياة ، ففي (المشاعية البدائية)

---

(١) اسماعيل المهدوي : الحتمية والعلم الحديث – الفكر المعاصر – ٤ يونيو ١٩٦٥ .